ليشخص اليهم فخرج الى الحجاز ومات في بيت سكينة بنت الحسين بن علي ابي طالب وذلك لأن الناس كانوا ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءهُ فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم . وجاء في الفهرست لابن النديم (ص ١٤١) انَّ لاسحاق الموصليّ كتاباً في اخبار حُنَيْن الحيريّ

واشتهر في الغناء في اوائل الاسلام من النصارى غير حنين . منهم عَوْن الحيريّ وكان عباديًّا ايضاً ذكرهُ صاحب الاغاني (٢ : ١٢٥ و١٠ : ١٣٥) . وذكر يوحنا المزمر (٥ : ٣٤ و٤٦ الخ) وذكر غير هؤلاء الحيريين وبه يثبت قولنا انَّ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام فضلاً في اشاعة الغناء والموسيقى العاميَّة والدينيَّة كما اشاعوا بين العرب الغناء والموسيقى الدينيَّة . وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن الى ان اشتهر في ايَّام الرشيد اخوه ابراهيم بن المهديّ الذي قال عنهُ ابو الفرج في الاغاني (٩ : ٣٥) انهُ « هو اوَّل من افسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييره » (لهُ بقيَّة)

كيف يقرأ ويكتب العميان ؟

بقلم الاب رفائيل خاله اليسوعيّ

انَّ العمى لمن أعظم العاهات التي تصيب الانسان في هذا وادي الدموع فتنغص عيشهُ حتَّى يعاف الحياة . يا لها من ليلةٍ ليلاء يهيم فيها الضرير آناء الليل واطراف النهار لا يتمتَّع ولو ثانيةً في عمرهِ بلذَّة النور وبهاء الطبيعة وجمال مواليدها المختلفة فكأني بهِ ميتٌ قبل مماتهِ ميتٌ يجول بين الاحياء ويكاد لا يبتدّ شيئاً يُذكر من خيرات الحياة وحظوظها . ولو فرضنا انهُ تعلَّم حرفةً ومارسها لكسب معاشهِ بدون ان يمدّ يدهُ مستعطياً فانَّما ذلك يكمل لهُ حياتهُ الماديَّة . امَّا الحياة العقليَّة التي تفوق الاولى تفوّق الانسان على العجماوات فأنَّى لهُ ان يُغذيها ويُنميها وهو لا يستطيع المطالعة ولا الكتابة وكلتاهما — ولاسيَّما القراءة — اهمُّ والزم الوسائط

لبلوغ تلك الغاية ؟ ولو اعتبرنا انَّ اشغال الضرير اليدويَّة محصورةٌ في دائرة ضيقة ومن جهة اخرى انهُ في غالب الاحيان محرومٌ من مؤانسة بني جنسهِ معتزل عنهم نوعاً فانَّهُ ليتبادر الى اذهاننا انَّ فاقد البصر لأشدّ حاجةً من سواه الى تفكيهِ خاطرهِ وتثقيف عقلهِ بمطالعة بعض الكتب المُمتعة المفيدة فانَّ الكتاب للاعمى بمثابة لوح النجاة للغريق . هو نديمهُ وسميرهُ وانيسهُ وجليسهُ في كلّ آن واين يُنسيهِ مرارة محنتهِ ويُتحف عقلهُ بانواع المعلومات . ينتشلهُ من عالم الحقيقة المحسوسة المؤلمة فيصعد بهِ على اجنحة الفكر الى عالم الحقائق المعقولة السارّة . فلا غرو أن قال احد العميان : «منذ تمتَّعتُ بقراءة الكتب شعرتُ بنفسي مبعوثةً من ظلمة قبرها عائدةً الى الحياة والنور والحرّية العقليَّة ! »

والحالة هذه فما اعظم الخدمة التي ادّاها الى الاضرّاء وفي شخصهم الى العائلة البشريّة جمعاء اولئك رجال الهمّة والاريحيَّة الذين لم يدّخروا وسعهم في اختراع الوسائط والأدوات اللازمة لتمكين العميان من القراءة والكتابة بسهولة نوعيَّة هؤلاء هم لعمري اهلٌ لأن تُدوَّن اسماؤهم باحرف ذهبيَّة في تواريخ كل الشعوب المتمدّنة وان تُنصب لهم في اكبر عواصم الارض تماثيل رائعة تخلّد ذكرهم

وفي مقدّمة اولئك الابطال العظام شخصان فرنسويّان وضع اولهما واسبهُ ثالثتان هاوي (Valentin Haüy) طريقة كتابة للعميان فحسّنها الآخر وهو لويس برايي (Louis Braille) واوصلها الى اوج الكمال وقد دخلت في حيّز الاستعمال في سنة ١٨٢٥ اعني منذ نحو جيل وهي لا تزال مستعملة اليوم في كل الاقطار . وقد ترخيتُ في هذه المقالة ان اقدّم للقرّاء هذين البطلين بعبارات وجيزة ثم ان اعرض لهم اختراعاتهما المدهشة التي كادت تساوي بين الضرير والباصر

١ الحياة العظيمة الى الاضراء

﴿ ١ ثالثتان هاوي ١٧٤٥—١٨٢٢ ﴾ كان موظفاً بدائرة الاشغال الخارجيَّة فعنَّ لهُ ان يكرّس نفسهُ لتهذيب العميان كما فعل الكاهن الفرنسوي دي ليباي (de l'Epée) من اجل الخُرس والصُمّ . فاخترع لهم الكتابة والطبع بالحروف النائتة وأسّس في باريس سنة ١٧٨٤ داراً للعميان الاحداث تملّكتها الحكومة فيما

بعد وستّتها المؤسسة الشعبيّة لناشئة العميان وهي اوّل مدرسة عميان أنشئت في العالم ولما زاد نفوذه في باريس نفاه القنصل نابليون فترك باريس سنة ١٨٠٦ متّجهاً الى بطرسبرج حيث أسس مدرسة للعميان ولدى مروره ببرلين حثّ اولي الامريّة والهمّة على تاسيس مدرسة اخرى . ولم يعد الى فرنسة الّا سنة ١٨١٧ خمس سنوات قبل وفاته . وله مؤلف عنوانه : بحث في تهذيب العميان (١٧٨٦)

﴿ ٢ لويس براي (١٨٠٩—١٨٥٢) ﴾ أصيب بالعمى في الثالثة من عمره على إثر جرح في عينه فدخل في مؤسسة ناشئة العميان سنة ١٨١٩ وانكبّ فيها على دراسة الموسيقى ودقّ الارغن في كثير من كنائس باريس ثم عُيّن مدرّساً بمدرسة العميان فوضع مؤلّفاتٍ لتلامذته ثم اخترع من اجلهم كتابة جديدة احرفها مكوّنة من نقط ناتئة . فاقتدروا بها على كتابة بعض المذكرات اثناء التدريس وفروض الاملاء والانشاء بسرعة غريبة نسبةً الى عاهتهم . وقد توصّل براي بعد ذلك الى تطبيق اختراعه لكتابة الموسيقى . وبعد وفاته بخمس وعشرين سنة على إثر اكتتاب شعبي اقيم تذكارًا لذلك الرجل العظيم خادم الانسانية تمثالٌ جميل في مسقط رأسه كفره

٢ اخترعوا لنا طريقتي كتابة العميان

﴿ اختراع ثالثتان هاوي ﴾ هو الشهم الوذعي الذي اوحت اليه رأفته على العميان ان ينشلهم من مخالب الفقر المدقع بترشيحهم للتهذيب اي متمكّنين من القراءة والكتابة . ولمّا كان عارفاً بدقّة حاسّة اللمس فيهم خطر على باله ان يضع لهم كتباً ذات احرف ناتئة لا تختلف كثيرًا عن الاحرف المعتادة غير انها اكبر حجماً وأبسط شكلاً . ولطبع تلك الكتب تستخدم احرف طبع معدنية ناتئة تُصَفّ اسطرًا في قالب ثم تُضغط فوق صحائف من الورق السميك المبلّل بقليل من الماء ليزداد مرونةً . فبعد ذلك الضغط تظهر الاحرف ناتئة في نفس الورق .

الحق يقال انّ تجارب «هاوي» الطويلة لم تأتِ بالنتيجة المأمولة ولم تكلّل بالنجاح الباهر الذي كان المخترع اهلاً لهُ بطول صبره وصدق عزمه وسموّ غايته . فما عمّم الاختبار ان يُظهر نقائص طريقته باجلى مظاهر . فمنها انّ ادنى كتاب كان يستوجب

المجلدات الضخمة لطبعه على اسلوب «هاوي». وذلك اولاً لكبر حجم الاحرف وثانياً لاستحالة الكتابة على وجهي كل ورقة. وزد على ذلك بطء القراءة لاضطرار السبابة القارئة بالتنقل على كل اجزاء الحرف الواحد قصداً لتمييزه. وعلى كل حال فان كان ثالثتان هاوي باختراعه هذا مكّن العميان من القراءة فلم يُقدّرهم بتاتاً على الكتابة فأنى لهم ان يرسموا على ورق غليظ احرفاً كبيرة ناتئة يُرثى عددها على المئات في صحيفة واحدة. بيد انّ ذلك الالهام كان اوّل من فكّر في استنباط اسلوب ما لتأهيل الاضراء للقراءة وكفاه بسبقه الجميع فخراً في عين كل الشعوب على مدى الدهور. هو اوّل من نهج منهجاً في مفازة لم يتجاسر قبلاً احد على اجتيازها حتى وليّه «لويس براي» وقوّم المنهج المعوج وحسّنه ووسّعه فجعله مهيعاً يسلكه الآن آلافٌ ممّن حرموا البصر في كل اقطار العالم

﴿ اختراع لويس براي ﴾ كما اسلفنا في نبذتنا عن ذلك الرجل الهمام انّ السنة ١٨٢٥ كانت تاريخ ابتكاره العجيب الذي تلاشت به كل نواقص طريقة هاوي. وضع «براي» أحرفاً جديدة مركبة من نقط ناتئة يتراوح عددها بين واحدة وست. فلترسم ست نقط على خطّين عاموديين : : ولتجعل مجموعها اشارة لحرف ما

فاذا حذفنا من هذا المجموع نقطة كان عدد الاشكال الخماسية ستة هكذا :

: واذا حذفنا نقطتين كان عدد الاشكال الرباعية خمسة عشر.

وكذلك اذا حُذفت ثلاث نقط امكن تشكيل الثلاث الباقية ٢٠ شكلاً. وبحذف اربع نقط تتشكل النقطتان الباقيتان ١٥ شكلاً وان حذفت خمس نقط امكن وضع المفردة الباقية على ستة اوضاع فينتج عن ذلك ان عدد كل الاشكال المختلفة ثلاثة وستون فهي كافية بل تزيد عن الحاجة للدلالة على الاحرف الهجائية والارقام العشرة والعلامات الموسيقية. فلنسرد الآن مزايا ذلك الاسلوب العجيب في بساطته :

(اوّلاً) اذا كانت كل النقط ذات نتوء ملائم واللون الفاصل بين كلٍّ منها وجارتها معتدلاً فبمجرّد لمس السبابة يقف الاعمى على ماهية الحرف بدون حاجة الى نقل اصبعه من جهة الى اخرى كما في اسلوب «هاوي». فمن البديهي انه لا مناسبة

من قبيل السهولة والسرعة بين الاحساس اسماً بشكل ⠠ وشكل R . والاوّل هو الراء في طريقة براي . فيترتب على ما سبق ان قراءة الاعمى وفقاً للاسلوب الجديد قائمة في مجرّد زلوج السبّابة من اول السطر الى آخره . ولمّا كانت حاسّة اللمس ذات دقّة غريبة في العميان ولا سيّما الاحداث منهم فبعد التمرين المتواتر يتوصّلون الى قراءة ١٥٠ كلمة في الدقيقة وذلك معظم سرعة التلاوة بصوت مرتفع وتكاد تبلغ مُعظم سرعة الكلام فتأمل !

وهاك احرف براي للّغة الفرنسويّة وغيرها من اللغات الاوربية التي تكتب بنفس الاحرف الفرنسوية :

A	B	C	D	E	F	G	H	I	J	K	L	M	N	O	P	Q	R
⠁	⠃	⠉	⠙	⠑	⠋	⠛	⠓	⠊	⠚	⠅	⠇	⠍	⠝	⠕	⠏	⠟	⠗

S	T	U.	V	W	X	Y	Z
⠎	⠞	⠥	⠧	⠺	⠭	⠽	⠵

اما الارقام العشرة فيُعبَّر عنها بالاحرف العشرة الاولى بتقديم هذه الاشارة ⠼ عليها . فالالف (⠁) تنوب عن ١ والباء (⠃) عن ٢ وهلمّ جرًّا . ويوجد ايضاً علامات فاصلة للعبارات كالنقطة وعلامة للاستفهام الخ واشارات خاصّة لكتابة الموسيقى

ثانياً طريقة براي تمكّن الاعمى ليس فقط من القراءة بل من الكتابة ايضاً وهذه كانت ضالّة براي المنشودة . ودونك وصف الاداة البسيطة التي اوجدها لبلوغ هذه الغاية . يستخدم الضرير شُبَّاكاً يضغط به على ورقةٍ موضوعة على صفيحة معدنيّة مستطيلة بعرض الورق وعليها اخاديد يسيرة العُمق متوازية بتساوية الابتعاد الواحد عن الآخر . والبَوْن الفاصل بين كلّ منها وجاره هو نفس الذي يتوسّط في الكتابة بين كل نقطة والتي فوقها او تحتها . فاذا اراد الاعمى ان يكتب حرف اللام مثلاً ورسمُهُ هكذا ⠇ فانّهُ يضغط بشبّاكه على الورقة فوق الاخدود الاعلى من الصفيحة المعدنية ثم يعيد الضغط تحت الموضع الاول وفوق الاخدود الثاني واخيراً تحت الموضع الثاني وفوق الاخدود الثالث . انما كل الصعوبة للاعمى محصورة في الانتقال من

الخدود الى التالي بسرعة دون ان يخطئ المرمي لئلا يشوّه رسمُ الحرف فتتعذّر قراءته . واذا فرضنا انه يريد كتابة le ورسمها كذا . . فالصعوبة الجديدة هي

ترك البون المناسب بين الحرفين حيث يلزم مبدئياً إخلاء مساحات متساوية لكل الاحرف ايًّا كان عدد نقطها وذلك دفعاً لكل التباس ينتج من عدم مراعاة تلك القاعدة الاساسيَّة . وقد عالج لويس براي بقريحته الوقّادة هاتَيْن العقبتين وابتكر لهما دواء شافياً هو آية في الذكاء والبساطة . جعل براي فوق ورقة الكتابة صفيحة معدنية ذات ثقوب مربّعة مصفوفة في ثلاثة او اربعة صفوف متوازية فكل صفّ يقابل سطرًا من القرطاس وكل ثقب حرفاً من السطور والصفيحة العليا المثقوبة موصولة بصفيحة سفلى ذات الاخاديد . وتحت كل ثقب ثلاثة اخاديد مقابلة لثلاثة اوضاع النقط الثانية

هذا اسلوب « براي » للكتابة . اما الطبع فانه يتمّ بواسطة احرف مسبوكة من رصاص ممزوج تُركَّب في قوالب مخصوصة كما في المطابع الاعتيادية . وجديرٌ بالملاحظة ان كثيرًا من صفّافي مطابع العميان هم اضرّاء وعاهتهم لا تمنعهم عن مجاراة رصفائهم الباصرين في اتقان العمل ولو كانوا اقلّ سرعة لحاجتهم الى قراءة ما يلزم طبعه بالسبّابة ليس بالعين . ومتى انتهى الصفاف من ترتيب الاحرف في قالب مواز لصفيحة فانه يضع عليه ورقة سميكة مُرطّبة بالماء فوقها قطعة نسيج من الصوف او القطن يضغط عليها ضغطاً شديداً بلازم فتنطبع الاحرف على الورق ناتئة بدون ان تثقبه وذلك لتوسّط النسيج الرخو بين اللازم والورق

٣ تقدم الطباعة للعميان بعد « براي »

من اجل تعجيل العمل قد استُخدمت بالشطر الثاني من الجيل المنصرم في مطابع العميان الطريقة الشائعة في سائر المطابع تحت اسم الإستيريوتيبية (اي التنحيس) : فبدلًا من ان تُصفّ احرف الطبع في القوالب — ولا يخفى ما في ذلك من طول الشغل وكثرة النفقة خصوصاً اذا حُفظت القوالب لاعادة الطبع — تُكتب كل صحيفة على النحاس او الزنك بسُنبك مخصوص . ولا مانع حينئذٍ من حفظ الصحائف المعدنية هذه للطبقات المتوالية . ومن الفوائد الجمّة الناجمة عن هذه الطريقة بخلاف الاخرى

ان الطبّاع العميان لا يلتزم بطبع عدد عظيم من النسخ دفعة واحدة فيصعب عليه ان يجد من يشتريها لقلّة عدد الاضرار.(١)

ثم انّ ضخامة غريبة في حجم تلك الكتب فان كل حرف يبلغ ٧ ميلمترات طولاً و ٥ عرضاً واحرف الطبع المعتادة لا تسع عُشر تلك المساحة. فالتوراة للعميان التي نشرتها شركة التوراة باللغة الانكليزية واللغات الاجنبية تحتوي على ٣٩ مجلّداً و ٨٠٠ صحيفة كلٌ منها بحجم ثلاث من صحائف الشرق. ونفقات طبع كل نسخة على تلك الشركة التي تنشر الملايين من نسخ الكتاب المقدس في نحو ٤٠٠ لغة تبلغ خمس ليرات انكليزية. فهذا الغلاء الفاحش هو الآفة الكبرى الحائلة دون تقدّم فنّ الطباعة باحرف نائتة على طريقة « براي » رغماً عن التحسينات الجزئية التي أُدخلت فيه اثناء الشطر الثاني من الجيل الاخير

ومن هذه التحسينات توفير نصف كمية اوراق اللازم بالطبع على وجهي كل ورقة. فقد كانوا في اول الامر يطبعون على احد الوجهين ليس الّا. ثم زادوا البَوْن الفاصل بين الأسطر فاستطاعوا الطبع على الوجهين بحيث تُقابل اسطرُ الوجه الاول الخلاء الفاصل بين اسطر الثاني ولكنهم لم يستفيدوا كثيراً بذلك للزوم توسيع المسافة الحائلة بين الاسطر على الصحيفتين. واخيراً قد توصلوا الى الطبع على كلا الوجهين بدون ذلك التوسيع مع تسهيل القراءة وذلك باستخدام وسيلة تمنع التباس النقط النائتة على احد الوجهين برقمها بجوْقة على الوجه الآخر. وهذه الوسيلة مبنية على تساوي المسافات الفاصلة بين كل نقطة وجاراتها في طريقة براي. فلاجتناب الالتباس المشار اليه يكفي ان تُكتب النقط العليا من كل سطر من الوجه الثاني بين النقط العليا والنقط المتوسطة من السطر المقابل في الوجه الاول. فلم ينسَ القارئ ان احرف براي مركبة من نقط تكتب في ثلاث طبقات الواحدة فوق الاخرى. وقد طُبّقت هذه الطريقة على صناعة التنجيس كما يلي: تُطوى صحيفة نحاسية الى قسمين متساويين ثم يكتب السنبك على احد الجانبين الخارجيين صفحةً ترسم بحروف نائتة على احد الجانبين الداخليين ثم تُعاد هذه العملية على الجانب الخارجي الآخر فتُرسم الصفحة

١) يبلغ عدد العميان واحداً بين الف شخص في اوربة الوسطى وانكلترة وفرنسة حيث كان عدد العميان نحو ٣٨,٠٠٠ مع احصاء عميان الجزائر (Algérie) حول السنة ١٨٨٥

الثانية على الجانب الداخلي الآخر . فاذا تمّ ذلك جُعلت ورقة الطبع بين الجانبين الداخليين وضُغطت بشدّة بينهما فتنطبع عليها الصحيفتان في آن واحد

ولم تقف التحسينات عند هذا الحدّ . فقد اختُرعت آلاتٌ للكتابة وغيرها للطبع بصفائح النحاس لكل منها ستة دساتين مُقابلة للنقط الستّ التي تتكوّن منها كل الاحرف . فالاصابع الثلاثة المتوسّطة في كل يد تحرك من الثلاثة الدساتين التي تحتها ما يلزم لطبع الحرف المُراد على القرطاس او النحاس . وبما ان اليدين عاملتان معاً فيستطيع الاعمى الكاتب الطبّاع ان يُجاري الباصر في سرعة الكتابة او الطبع حيث ان كل حرف يُكتب على الورق او يُطبع على النحاس دفعة واحدة

٤ تأسيس جمعية فالنتاين هاوي باريس سنة ١٨٨٣

رغماً عن التحسينات السابق ذكرها قلّما كان طبّاعو كتب العميان ينشرون مؤلفات جديدة نظراً الى قلّة الزُبن وغلاء الطبع . فإن سبعة او ثمانية كتب ذات ٢٠٠ صحيفة من قطع الثمن يزن كلٌ منها كيلوغراماً ونيفاً توازي بمادّتها كتاباً اعتيادياً من قطع ١/١٦ . فانّ تأليف المؤرّخ الفرنسوي الشهير ألبار سورِل المعنون «اوربّة والثورة الفرنسوية» قد طُبع للعميان في ١١٤ مجلداً كان كل منها قبل الحرب يساوي نحو ٧ فرنكات والمجموع نحو ٥٠٠ فرنك ! فكم من الاضراء تمنعهم قلّة ذات اليد عن اقتناء مثل هذه الكتب النفيسة ! ولذلك بقيت مطابع العميان قليلة جداً حتى اليوم يكاد جميعها بفرنسة يُحصر في التي يلي ذكرها : (١) مطبعة مؤسّسة للعميان الاحداث التي سبق لنا الكلام عنها . (٢) مطبعة راهبات مار بولس الضريرات في باريس . (٣) مطبعة منارة فرنسة (Le Phare de France) التي كانت تنشر اثناء الحرب بضعة كتب جديدة شهرياً . (٤) مطبعة جمعية فالنتان هاوي التي أسّسها في باريس المسيو دي لا سيزران (de la Sizeranne) سنة ١٨٨٣ . وقد اشترت هذه الجمعية الخيريّة المتوخية كل ما يؤول لخير العميان ادوات للطبع بصفائح النحاس هي اكمل ما اختُرع في الآونة الاخيرة . لكنّها وقفت بعد الاختبار الطويل على كثرة العقبات الحائلة دون طبع كتب كثيرة فابتكرت طريقة اسهل لبلوغ مأربها وفي طريقة النَسخ بواسطة آلات الكتابة الموصوفة آنفاً . وحيث ان

الجمعية تستدعي كل اصحاب الهمم العالية والقلوب الرؤوفة الى موازرتها في هذا العمل المبرور فترى في باريس وغيرها من مدن فرنسة مئات من الرجال والنساء والشبان والاطفال انفسهم يتعلّمون احرف برايي ويستلمون من الجمعيّة آلات الكتابة الأحدث طرزًا فينسخون بواسطتها وبغاية السرعة المؤلفات المطلوب منهم نسخها. ومن هؤلاء النساخ المتفانين بخدمة العميان مَن استطاع نسخ مادّة ٢٥ كتاباً بحروف نافرة في سنة واحدة! فلا غرو ان كانت خزانة كتب الجمعية زادت عدد كتبها من المائة حول سنة ١٨٨٥ الى الخمسين الفاً عند انتشاب الحرب الكونية. وهذا العدد يقابل ١٢٠٠٠ مؤلف فيعادل كلُّ مؤلَّف نحو اربعة كتب للعميان. ولا تزال كنوز هذه الخزانة تزداد يوماً فيوماً (١). وليست الخزانة مفتوحة فقط لكل الاحرار. بل انها تُقرض كتبها وترسلها الى كل من يطلبها من كل انحاء فرنسة وسائر اقطار العالم. واكثر ما يُستقرض منها الروايات ثم كتب التاريخ والفلسفة والعلوم التي يرغب العميان في قراءتها اكثر مما يُزعم عنهم. وهناك ايضاً كُتَيبات ظريفة سهلة المطالعة للأطفال الكُتْه. هذا ما خلا عدداً كبيراً من المؤلفات الموسيقية الشهيرة المطبوعة كما اشرنا بعلامات نافرة مخصوصة يقرأها الاعمى بسبّابته اليسرى مثلاً ويدقّ على البيانو بيمناه ثم يعكس العمليّة وبعد التمرين المتواتر يستطيع ان يأتي بالقطعة الموسيقية تماماً عن ظهر القلب وذلك من اغرب ما توصّلت اليه مهارة العقل البشري!

ومُعدَّل ما يطالعهُ قرّاء تلك الخزانة كتابان في الاسبوع اعني نحو مائة كتاب في السنة غير ان بعضهم يقرأون مئات من الكتب سنوياً. وكفى بذلك شاهداً على عظم اللذة والحلوى التي يذوقها الضرير بالمطالعة. كان معدّل ما تقرضهُ الخزانة قبل الحرب ثلاثة آلاف كتاب شهرياً وقد زاد الآن ذلك العدد زيادة عظيمة بازدياد عدد الذين فقدوا بصرهم في السنين الاخيرة سني الحرب الضروس التي لم يعهد لها من مثيل في تواريخ الامم. ومن غريب امر تلك الكتب انَّ الكتاب يُقرأ الف مرّة ولا يزال صالحاً للقراءة رغماً عن احتكاك الف سبّابة على كل من حروفهِ وهي

(١) ورد في الانباء الاخيرة انَّ في خزانة الكتب التي انشأها جمعية فالنتان هواي حاضراً ستّة وخمسون الف كتاب ثم عشرة آلاف اخرى من التآليف الموسيقيّة

كما هو معلوم عبارة عن نقط ناتئة نترًا يسيرًا — ولهذه الكتب طريقة تجليد خصوصية تمنع ضغط الصفائح بعضها على بعض فلا يزول او ينقص نتوء احرفها

٥ خزانة الكتب الكبيرة للعميان في لندن

تلك الخزانة هي بدون مراء من اعجب مؤسسات العالم المتمدن بسرعة ترقيها رغماً عن حادثة نشأتها . اسستها في السنة ١٨٨٢ امرأة مكفوفة فقيرة تدعى ميس أرنلد (Miss Arnold) بمساعدة صديقة لها فاستأجرتا حجرة صغيرة وجمعتا فيها بعض الكتب فكانتا تقرضانها للعميان بثمن نحو عشرة سنتيمات اسبوعياً . وكان رأس المال حسنةً لا تزيد على ٢٥ ليرة انكليزية . فنمت تلك الحبة الصغيرة شيئاً فشيئاً بواسطة الحسنات اليسيرة الواردة اليها من كل انحاء بريطانية العظمى حتى صارت اليوم بعد مضي ٣٨ سنة دوحةً كبيرة يتظلل آلاف من العميان في ظلالها الوارفة . ففي الوقت الحاضر نراها من اهم خزانات الكتب في لندن باتساعها وحسن نظامها ولا سيما بالخدم الجليلة التي تؤديها لمائتي آلاف من قرّاء العميان المشتتين في كل انحاء اوربة واميركة والمستعمرات الانكليزية . وهي تحتوي الآن على نحو ٦٠،٠٠٠ كتاب باحرف ناتئة تقابل نحو عشرة آلاف من الكتب الاعتيادية فضلاً عن ٨،٠٠٠ مؤلف موسيقي . ولدينا قائمة تلك الكتب طالعناها ملياً فقضينا العجب من تنوعها . فهي ليست محصورة بالروايات وما شاكلها بل منتمية الى كل انواع العلوم والمعارف كاللاهوت والفلسفة والتاريخ الكنسي وسير القديسين والسياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والحقوق والفلك والبيولوجية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء الخ . ثم تجد منها بضع مئات مكتوبة بنحو عشر لغات اجنبية ونحو ٤٠٠ باللغة الدولية إسپرنتو . واكثر تلك الكتب اعني نحو ٨٥ في المائة منها منسوخ غير مطبوع للاسباب المشروحة سابقاً . ويقوم بعبء النسخ الثقيل نحو ٥٠٠ من النساخ المتطوعين الذين يبذلون قواهم في خدمة الاشقياء من بني جنسهم . ومعدّل الكتب الجديدة التي تحوزها الخزانة سنوياً نحو ١،٥٠٠ القليل منها مطبوع والباقي منسوخ . ومعدّل نفقة نسخ كتاب واحد على يد اعمى نحو ليرة انكليزية ونصف . وكثيراً ما تستخدم الخزانةُ النساخَ العميانَ بتلك الاجرة لتوفير نسخ الكتب النفيسة

والخزانة واقعة في وسط لندن وهي فخيمة العمارة فسيحة الردهات المفروشة باتقان والمُدفأة في الشتاء. وقد أُنشئ لها حديثاً فرعٌ في منشستر . مُعدَّل ما تُقرضه يومياً من الكتب نحو خمسمائة اعني خمس مرات اكثر من خزانة باريس فيكون المجموع السنوي ١٨٢،٥٠٠ . واغلب الكتب تُرسل بالبريد الى طالبيها القاطنين في انكلترة واطارج . عدد قرائها نحو ٨،٠٠٠ كما اسلفنا وبينهم كثير من الذين فقدوا نظرهم في الحرب الاخيرة . وهذه الخزانة مؤلفة ايضاً بمئات من كتبها في السنة ١٩١٩ ١٠٢ خزانة كتب اعتيادية و ٦٤ شركة او مؤسسة . وهي تُقرض كتبها مجّاناً ولا تطلب سوى قيمة البريد بل تتكرَّم بدفعها للفقير المدقع وتُدفع لأشدّ المعوزين القاطنين بلندن نفقات الانتقال من بيوتهم الى ردهاتها لئلا يعوقهم ادنى مانع عن الاختلاف اليها والتشُّبع بما لذّ لهم . ونظرًا الى الخدم العظيمة التي ادّتها الخزانة للعميان قد رُخصت لها مصلحة البريد اسعارها المعتادة تسهيلًا لنقل كتب العميان الضخمة الى كل انحاء انكلترة وهكذا لا تزيد قيمة النقل البريدي على نحو عشرة سنتيمات عن نقل يفوق الكيلوغرامين وربع . وبناء على ذلك سوّغت الخزانة لقرائها اقتراض اربعة كتب جديدة في كل شهر . ثم انها تقدّم لبعض الطلبة الاضراء الكتب اللازمة لدروسهم فضلًا عن كونها تسهّل لكل العميان تعلّم الحِرَف المناسبة لحالتهم بواسطة كتبها الباحثة عن تلك الحرف . ورغماً عن كل هذه الاعمال العظيمة المتنوعة ليس للخزانة دخلٌ ثابت بل كل دخلها ناجم عن حسنات طفيفة تتوارد اليها افواجاً فيبلغ مجموعها آلافاً من الليرات الانكليزية في السنة . وهذه الخزانة تحت حماية سمو الاميرة لويزة من العائلة المالكة

وقبل ان نختم هذا الباب عن خزانة كتب العميان بلندن يليق ان نُلحق به بعض الايضاحات على مشاريع انكليزية عائدة الى تثقيف المكفوفين وتلطيف بلواهم . فمنها المجلّات الزهيدة الثمن التي يظهر منها في الوقت الحاضر اثنتا عشرة ونيف وبينها واحدة موسيقية وهي (The Braille Musical Magazine) . ولاثنتين منها اسمان ظريفان وهما الساعة السعيدة (Hora jucunda) وجالبة الضياء (Light bringer) . ولا اظنني مغالياً ان صرّحت بانّ لانكلترة قصبة السبق على كل البلاد في عدد تلك المجلات وانتشارها وان كانت معروفة ومألوفة في كثير من

الاقطار الاوربيَّة والاميركية

ومن تلك المشاريع ايضاً طبع بعض الاسفار المقدسة بحروف نائتة في ٢٤ لغة ومنها العربية بمطابع شركة التوراة بالانكليزية واللغات الاجنبية وذلك منذ سنة ١٨٣٨ اعني ثلاث عشرة سنة بعد اختراع براي

كلّ من اسفار الكتاب المقدس يباع بشلين ونصف اعني نحو فرنكين بأيّة لغة كانت . وقد اكد لنا مؤخرا كاتم اسرار تلك الشركة ان كل سفر انكليزي تبلغ نفقات طبعه سبعة شلينات ونصف وهو يباع كما سبقت الاشارة بخمس هذا الثمن فليت شعري كم تكون الخسارة في بيع الاسفار المطبوعة بلغات اجنبية ! وتتضح الفائدة العظمى الناجمة عن ذلك المشروع اذا لاحظنا ان في انكلترة نحو ٥٠،٠٠٠ ضرير وفي الهند نحو ٣٦٠،٠٠٠ وفي الصين فوق ٥٠٠،٠٠٠ وقد طبعت بعض الاسفار المقدسة بالهندية والصينية

٦ كتب العميان واللغة الدولية اسبرنتو

من المعارم ان الاسبرنتو هي اللغة الدوليَّة الاصطلاحية التي اوجدها للعالم المتمدن سنة ١٨٨٧ الطبيب البولوني لويس زامنهوف وغايتهُ بها ان يؤهل كل شخص مهذّب تربطه بالاجانب علاقات تجارية او علمية او غيرها للتكلم معهم في لغة سهلة التلفظ بسيطة القواعد اقتُبست جذور كلماتها من اكثر اللغات الاوربية شيوعاً . لتكون قريبة المنال . وقد انتشرت تلك اللغة الدولية بسرعة غريبة في كل انحاء اوربة واميركة حتى سنة ١٩١٤ حيث اوقفت الحرب انتشارها لحين وهي الآن آخذة في الانتعاش منذ عُقدت الهدنة . وكانت تنشر بهذه اللغة عشرات من المجلات في كل اصقاع المعمور . فعزم احد اصحاب الهمم الاستاذ الفرنسوي كار (Carl) على تأسيس مجلة اسبرنتية للعميان من كل البلاد لينتصر على الصعوبات الحائلة من نحو جيل دون طبع مجلّات العميان في اللغات الحيَّة وذلك بسبب قلّة الاضراء الناطقين بها والمائلين الى الاشتراك بالمجلات . صدرت تلك المجلّة الاسبرنتية من السنة ١٩٠٣ حتى ١٩١٦ حيث لاشتها ظروف الحرب ثم عادت في السنة ١٩١٩ . وكان عدد قرائها في آخر السنة ١٩١٣ ثمانمائة واحد عشر ينتمون الى ٢٧ بلداً منهم ١٨٩ المانياً و ٦٢

انكليزياً و ٥١ فرنسوياً و ٣٤ من الولايات المتحدة و ٤ اوستراليين وواحد مصري وآخر صيني الخ . وكلّ اولئك العميان لـان واحد في التنويه بفضل تلك المجلة التي توقفهم كل شهر على جملة اشياء مفيدة ومتعة . ومن خير حسناتها نحوهم انها تمكّنهم من التعرف بعضهم ببعض والتراسل بالاسپرنتية رغماً عن اختلاف الجنسيات وابتعاد الاقطار . ولديّ احدُ اعدادها وهو الصادر في ٢٥ كانون الاوّل سنة ١٩١٣ يحتوي على ٣٦ صحيفة قطعها تقريباً ضعف قطع المشرق (١)

وكانت قيمة الاشتراك قبل الحرب ٣ فرنكات لا غير والآن ٣ شيلينات اعني نحو ٤ فرنكات والمجلـة تصدر الآن في استوكهلم عـاصمة اسوج . ورئيس تحريرها السيو هارلد تيلندر وهو اعمى اخرس اصمّ بل كسيح . فاعظم همتهُ حيث انهُ رُكنُ هذه المجلة الجليلة الفوائد رغماً عن عاهاته الاربع التي تكفي واحدة منهن لاخماد همة كثير من الناس !

كل ما سبق برضٌ من عدٌّ فيما يختص بالكتب والنشرات للعميان ولكن كفى به شاهداً على الترقي العجيب الذي كان ثالثتان هاوي في غرة الجيـل المتصرم أوّل حامل لرايته . ثم خلَفهُ الاعمى النحرير لويس براي فخدم رصفاءهُ التعساء في كل الاقطار والى منتهى الازمان خدمة لا تُقدَّر باختراع اوّل طريقة قراءة وكتابة اتت بنتائج مُرضية . ثم تحسنت اساليب الطبع وزادت رخصاً وسرعة وانتشاراً . ثم اتى النسخ حليفاً للطبع فدخلت به في حيز الوجود خزانات الكتب الحـاوية آلافاً مؤلفة من الكتب العلمية والادبية التي لم يدُر على خلد احـد المفكرين من نحو ٥٠ سنة امكان انشائها للعميان نظراً الى شدة غلاء الطبع بحروف ناتئة . واخـيراً توصل اصحاب العزائم الصادقة بواسطة الاسپرنتو اللغة الدولية الى انشاء اوّل مجلة لعميان كل البلاد كان يقرأها سنة الحرب نحو الف منهم في ٢٧ قُطراً بكل قارات العالم

---

(١) وهذا فهرسها أورده تفكهة للقراء : ١ً لعب الشطرنج . ٢ً رسالة من مدير المجلة . ٣ً الانتقال من السنة ١٩١٣ الى ١٩١٤ . ٤ً الزرزور . ٥ً باب المراسلات . ٦ً الفوائد النثرية . ٧ً الاخبار الاسپرنتية . ٨ً مشكلات رياضية وغيرها . وقد عاينّا في احد اعدادها الاخيرة رسم احد كبار المحسنين للعميان يلمسهُ هؤلاء بسبابتهم وينقلونها على كل اجزائهِ الناتئة فيقفون على كل تقاطيع الوجه . وقد رأينا ايضاً صورة ناتئة تمثل كنيسة عظيمة جميلة

فسبحان الذي ألهم المخترعين رأفةً على الاضراء حدت بهم الى مداواة عاهتهم وتخفيف نير بلواهم . سبحان الذي هدى لويس برايي وغيره الى تلك الطرق العجيبة التي كادت تساوي بين الاعمى والباصر في القراءة والكتابة اللتين لم يدُر على خلد البشر امكانهما للاضراء . فليهنأ اولئك البؤساء بما نالوه بفضل البارئ تعالى مُلهم المخترعين المحسنين من الفائدة واللذّة والسلوى التي لا مراء انها ستزداد وتنتشر في رهطهم يوماً فيوماً كما عهدنا في السنين الخمسين الاخيرة

شوارع بيروت وأسماؤها الجديدة

نظر السعادي للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تخلو مدينة متمدّنة في اوربّة من بلديّة تهتمّ بتنظيم شوارعها وضبطها باسماء ملائمة يُهتدَى بها الى امكنتها المختلفة يعرفها الخاصّ والعامّ ولاسيّما الحوذيين ومأموري البريد والشرطيين فمنها الساحات ومنها الجوادّ ومنها الشوارع والأزقّة والخوخات . وهذه الاسماء بارزة يمكن الجميع ان يطّلعوا عليها في منافذ تلك المسالك . ثمّ يقسمون الشوارع الى عدد معلوم من المساكن او المعاهد يعلو كلًّا منها رقمٌ فلا يحصل في التفتيش عنها ادنى التباس

هذا في بلاد الغرب والشعوب الراقية ومن حذا حذوهم في اقطار العالم المتمدّنة . امّا تركيّة فانّها في معظم مدنها كانت تجري في ذلك مجراها من التهامل وعدم الاكتراث تدع للعامّة يطلقون الاسماء على أحيائهم وشوارعهم كما شاؤوا فربّما اصابوا وربّما اخطأوا . واكثرهم لا يعرفون سوى الاحياء القريبة منهم فاذا طلبوا احدًا في حيّ بعيد قاسوا قبل وجود مسكنه ضروب الملل والضجر . فكم فُقدت من جرّاء ذلك رسالات وكم ضاعت اموال وكم . . وكم . . .

فما بطل في ظهرانينا الحكم التركي وزال عنّا نيرهُ الثقيل فاحتلّت بيروت حكومة عاقلة حكيمة حتّى شعرت بهذا الخلل واوعزت الى لجنة خاصّة باستدراكه .